البنية التركيبية العربية

–دراسة في ضوء المنجز اللساني التوليدي التحويلي–

د.نادية توهامي

جامعة الأمير عبد القادر

ملخص:

تعدّ النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها العالم نعوم تشومسكي من أبرز النظريات التي ظهرت في العصر الحديث، وهذه النظرية تلتقي في جذورها وأصولها مع الكثير من المفاهيم اللسانية التي طرحها النحاة العرب القدامى، حيث أسهمت في إعادة قراءة بعض الظواهر اللغوية القديمة من خلال الاشتغال على البنية التركيبية في اللغة العربية.

والعامل النحوي جزء من التركيب النحوي وهو عند النحاة العرب أساس لتفسير كثير من الظواهر في الإعراب وما يتعلق به. لذلك يسعى البحث للوصول إلى مدى اتفاق وتقارب العامل النحوي العربي بالعامل عند تشومسكي.

Abstract

The transformative generative theory of its owner, the scholar Noam Chomsky, is considered one of the most prominent theories that have emerged in the modern era. This theory, in its roots and origins, converges with many linguistic concepts proposed by ancient Arab grammarians, as it contributed to rereading some ancient linguistic phenomena by working on the syntactic structure in Arabic

The grammatical government is part of the grammatical structure and, according to Arab grammarians, it is the basis for interpreting many phenomena in parsing and what is related to it. Therefore, the research seeks to reach the extent of agreement and closeness of the Arabic grammatical government to the according to Chomsky government.

الكلمات المفتاحية: النحو العربي، النظرية التوليدية التحويلية، البنية التركيبية، العامل النحوي.

Keywords: Arabic grammar, transformative generative theory, syntactic .structure, grammatical government.

مقدمة:

يعدّ النحو التوليدي التحويلي من أهم قضايا البحث اللغوي في العصر الحديث، فقد شكل أُسُسا علمية وبحثية لكثير من الباحثين والدراسين في جميع أنحاء العالم، وبخاصة الأنحاء التي كانت مصدر دراسة، وبحث على مر السنين كالنحو العربي، والإغريقي، والسنسكريتي، لذلك نشأت الدراسات اللغوية المقارنة للوقوف على أوجه الشبه والاتفاق بين هذه الأنحاء والنحو التحويلي، وكان للنحو العربي نصيب من البحث من قبل الباحثين الذين انقسموا إلى فريقين، فريق معارض لتلك الدراسات التي رأوا فيها دراسات عبثية لن تقدم للنحو العربي أيَ جديدٍ، وفريق آخر مؤيد لمثل هذه الدراسات التي يمكن أن تسهم في نهوض بنحو عربي جديد يَنهِي الخلافات النحوية المذهبية القائمة بين النحويين البصري والكوفي.

فقد ظهرت اللسانيات التوليدية التحويلية كوريثٍ للسانيات الوصفية والتاريخية، التي كانت تعتمد تحليلَ الكلمات حسب مواقعها في الجملة وتبحث عن تاريخها وتطور ألفاظها، وكانت تراعي في دراستها مستويات اللغة (الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية) كُلَها. ولم تكن هذه النوعية من الدراسة تهتم بمُنتِجِ اللغة، وهو المتكلِمُ، بل كانت تكتفي بوصف الكلام وصفا موضوعيا.

إنّ النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها العالم نعوم تشومسكي تتقارب مع النحو العربي في كثير من القضايا اللغوية، وهذا التقارب راجع إلى نوع من التأثر والاهتداء، لذا فقد حاول طائفة من الباحثين العرب الربط بين التراث النحوي والنظرية التوليدية التحويلية ولاحظوا أنهما يتفقان في نواح كثيرة، خاصة وأن تشومسكي أشار إلى اطلاعه على النحو العربي (خاصة الاجرومية)، لذا جدّ اللغويون العرب المحدثون الذين يهتمون بالتراث في البحث عن هذا التقارب والتماثل؛ فوجدوا الكثير من

مبادئ المنهج التوليدي في النحو العربي منها: الاعتراض على الوصفيين، الاهتمام بالأصل والفرع، العامل النحوي، التركيز على الجمل، الحديث عن البنية السطحية والبنية العميقة (النظم) والقدرة اللغوية (امتلاك قواعد الكلام)، الكلام الأصولي والغير أصولي (المستقيم والكذب)، التحويل بكل أنواعه؛ من تقديم وتأخير وحذف ونقل واستبدال وغيرها.

لقد ألف هؤلاء اللغويين المحدثين كُتُبا كثيرة تمثل إسهاما جليلا في إلقاء الضوء على مدى الالتقاء بين تشومسكي ومسائل النحو العربي وكشفوا عن التقارب والتماثل الموجود بينهما؛ إذ حاولوا الاستفادة من النظرية التوليدية التحويلية وذلك باستثمارها وتطويعها لخدمة النحو العربي؛ ومن أمثال هؤلاء نجد: عبده الراجحي، تمام حسان، محمد عبد اللطيف حماسة، خليل أحمد عمايرة، عبد القادر الفاسي الفهري، مازن الوعر، ميشال زكريا، زكي حسام الدين، وغيرهم...

البنية التركيبية العربية:

من أهم العلوم التي اهتم بها النحاة، علم التركيب الذي يقوم بدراسة العلاقات القائمة بين بنياته في تسلسلها، سواء أكانت على مستوى الفونيمات أو المورفيمات، بشرط أن يؤدي هذا التسلسل والتجاور بين المفردات معنى دلاليا يحسن السكوت عليه، يحقق في الأخير تواصلا بين الأفراد، هذا ما يجعل اللغة في تطور مستمر.

مفهوم البنية:

البنية في اللغة: تشتق كلمة (بنية) من الفعل الثلاثي (بنى)؛ وتعني البناء أو الطريقة، كما تدلّ على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء، أو الكيفية التي شيد عليها؛ فقد ورد في "تاج العروس "أنّ البنية تعني "ما بنية...كأن البنية الهيئة التي تُبنى عليها"[1].ووردت في أساس البلاغة "للزمخشري" :"من بني يبني بناء أو بنيانا وبنية وبنيت بنية وبنية عجينة، ورأيت البنى والبنى رأيت

[1]- المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة الكويت، ط،2 ،1987 ج،2 مادة بن، ص340.

أعجب منها...ومن المجاز بني على أهله دخل عليها...وبنى كلاما وشعرا وهذا كلام حسن المباني وبنى على كلامه احتذاه."[2]

أما في النحو العربي فإنّ ثنائية المعنى والمبنى تتأسس على الطريقة التي تُبنى بها وحدات اللغة العربية، والتحولات التي تحدث فيها. ولذلك فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فكل تحول في البنية يؤدي إلى تحول في الدلالة.

وفي اللغة الفرنسية تشتق كلمة structure من الفعل اللاتيني struere ويعني بنى وشيد أيضا والبنية موضوع منتظم، له صورته الخاصة ووحدته الذاتية، لأن كلمة بنية في أصلها تحمل معنى المجموع والكل المؤلف من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ويتحدد من خلال علاقة بما عداه.

ومما سبق فإن البنية في معناها اللغوي هي نتاج لحركة مجموعة من العناصر وعلاقتها المترابطة فيما بينهم، حيث تشكل تركيبا متكاملا ويبقى لازما وثابتا على هيئة معينة.

[2]- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 2006م، ص51-52.

البنية في الاصطلاح:

عرّفت البنية بأنها" ترجمة لمجموعة من العلاقات الموجودة بين عناصر مختلفة وعمليات أولية، تتميز فيما بينها بالتنظيم والتواصل بين عناصرها المختلفة"[3] فالبنية:" هي الكيفية التي تنّظم بها عناصر مجموعة ما؛ أي أنها تعني مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كلّ عنصر على باقي العناصر الأخرى، وحيث يتحدد هذا العنصر أو ذاك بعلاقته بمجموعة من العناصر."[4]

يتضح لنا مما سبق أن البنية تتشكل من مجموعة من العلاقات المتماسكة والمترابطة فيما بينها، وأي تغيير يحدث في أي عنصر من عناصرها يؤثر على باقي العناصر؛ أي يبقى كل عنصر منها متعلّق بالآخر؛ وبالتالي فعلم التركيب يدرس هذه العلاقة القائمة بين هذه الأجزاء، بحيث تحمل معنى، بدليل أننا إذا حذفنا كلمة واحدة يتغير معنى الجملة، هذا لا يعني دراسة المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية كلّ على حدة، وإنما بالنظر إلى صلتها ببعضها البعض، فهي مجموعة تولد لنا معنى معين.

ونقصد بالبنية التركيبية العربية التراكيب النحوية الأساسية في اللغة العربية، والتي حظيت باهتمام النُحاة والصرفيين في ميدان اللسانيات النظرية، كتراكيب المكمِّل والفاعل، وتمظهرات النفي والزمن، وظواهر المطابقة والمعاودة والإزاحة في التراكيب الموصولة والاستفهامية، أيضا التقديم والتأخير، الزيادة، الحذف إلى غير ذلك.

---

[3]- صلاح فضل، النظرية البدائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985م، ص121.

[4]- ينظر: الزواوي بغورة، مفهوم البنية، مجلة فصيلة تعنى بالمفاهيم و المناهج –ملف خاص حول البنية، جامعة قسنطينة، السنة3، ع5، يونيو، 1992م، ص95.

وعلى هذا فالبنية التركيبية تتمثل في ذلك التعالق السياقي بين الوحدات الصرفية (الكلمات) على المحور الأفقي[5] فارتباط بنية كلمة ما بما قبلها وبما بعدها وتركيبهما في ما بينها تشكل لنا ما يسميه النحويون " الجملة" التي تحمل معنى معينا يؤدي تواصلا بين الأفراد.

نظرية العامل النحوي:

تعدّ نظرية العامل من الأسس الهامة التي قام عليها النحو العربي وهي –في نظر كثير من النحويين العرب– نظرية عربية خالصة، ولدت في بيئة عربية، وكانت تساير نشأة النحو العربي، واكتملت باكتمال القواعد في النحو.[6] فقد أدرك النحاة الأوائل التفاعل الذي يكون بين الوحدات اللغوية من حروف وأفعال وأسماء، وهذا التفاعل سماه النحاة بالعامل.

وقد حاول النحاةُ تفسير اختلاف الحركات في آخر الكلمة في التركيب حسب موقعها الإعرابي، فقالوا إنّ العامل هو محدث الإعراب، وفي ذلك يقول الشريف الجرجاني:" العامل ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب"[7]

وأجمع النحاة على ارتباط العامل النحوي بالمعنى ارتباطا مباشراً، يقول الرماني(ت384هـ):" العامل هو موجب لتغيير في الكلمة على طريق المعالجة لاختلاف المعنى"[8]

---

[5]– يحي بعيطش، مبادئ النحو البنوي– دراسة تطبيقية على اللغة العربية، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر، ص07

[6]– ينظر: الدجني فتحي، النزعة المنطقية في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط،1، 1982م، ص. 47.

[7]– الجرجاني محمد بن علي الشريف، التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،، مصر(د.ط)، 1938م، ص 145.

[8]– الأستر آباذي رضي الدين محمد(ت688هـ)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس، ليبيا، 1978م،ج1، ص72.

تعتمد العلاقة بين العامل والمعمول في النحو العربي على الأثر الإعرابي الذي يعود إلى نوع العامل. أما الغاية منها فهي ضبط العلاقات الإعرابية ليحترز عن الخطأ في التركيب من حيث الكيفية[9]

ولا يخفى ما أحدثته نظريةُ العامل من خلافات كثيرة بين النحاة، ومن أبرز آثار العامل القول بالحذف وتقدير المحذوف، فكل معمول لابد له من عامل، إن لم يكن ظاهرا فمحذوف، ولابد من تقديره.

فكان لدعوة ابن مضاء أثر في كثير من النحاة المحدثين الذين نادوا بإعادة النظر في كثير من مباحث النحو وأبوابه في ضوء آراء ابن مضاء؛ فقد وجد هؤلاء بُغيتَهم فيما سطَّره ابن مضاء في كتابه الرد على النحاة، وطفِقوا يَبدئون ويُعيدون فيما قاله – ابن مضاء – ويتخذون منه حجة وذريعة إلى التشنيع على النحاة السالفين وخاصة نظرية العامل النحوي؛ فقد ثار عليها ابن مضاء وأنكرها وألغى ما يترتب عليها من قضايا التقدير، والتأويل، والحذف والتقديم والتأخير....

كما حاول هؤلاء أن يضيفوا نظريات جديدة للنحو العربي ولكن محاولاتهم لم تقدم تفسيرا مقنعا لاختلاف علامات الإعراب.

وإذا كان كثير من العلماء المعاصرين يُنكرون نظرية العامل ويدعون إلى تقويضها؛ فإنّ مدرسة النحو التحويلي تجعل على لسان زعيمها- **تشومسكي**- نظرية العامل أحدث المبادئ التي يقوم عليها المنهج التحويلي، أطلق عليها لأول مرة مصطلح Government ، في كتابه Lectures on Government and Binding، أي قراءات في العامل والرابط الذي نُشر في عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين ميلادي؛ وقد قدم **تشومسكي** أعمالاً تبين أهمية هذه النظرية في تحليل التراكيب النحوية وتوضح صلتها بالحالات الإعرابية.

[9]- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط،2 دار الكتب العلمية، بيروت،1987، ص75

وقد كثر عن العامل النحوي، لما له من علاقة بالجانب العقلي، فقد خاض في موضوعه النحاة قديما وحديثا، وإن الناظر إلى ما جاء به تشومسكي يجد أن نظرية العامل تمثل ذروة ما وصل إليه من نتائج.

لقد اهتم تشومسكي بقضية العامل اهتماما كبيراً حيث جعل نظرية العامل والربط عنده تنطلق من أساسين اثنين: الأثر والمضمر، والتفاعل الكائن بينهما فهو يرى أن العامل في المفعول هو الفعل والعامل في الفاعل سماه الصرفة، أي صفات التطابق والزمن والجهة.[10] وقد حدد تشومسكي نوعين من المركبات الاسمية، حرة إحالية، ومربوطة إحالية، ثم قسمها إلى نوعين باعتبار العمل وهما: مركبات معمول فيها، ومركبات غير معمول فيها، كما أنّ العوامل عنده الفعل والحرف بالدرجة الأولى[11].

ينبغي أن نعلم بأن نظام الجملة العربية يختلف عن القاعدة التي ذكرها تشومسكي، حيث لا تتضمن جمل العربية وجود عاملين أحدهما يخص الفاعل والآخر يخص المفعول، فالعامل في تركيب العربية يعمل في الفاعل والمفعول على السواء، الفعل مثلا يقوم بعملية الرفع في الفاعل والنصب في المفعول، والفعل الناسخ يقوم بالرفع في المبتدأ والنصب في الخبر.[12]

فتشومسكي يؤمن بالعامل حتى أن نظرية الربط العاملي من أهم مرتكزات التفسير في نظرية النحو الكلي وهي تنطلق من منطلقين:

1- ضرورة وجود أثر للعامل في الجملة.
2- ضرورة فصل المعاني الملبسة بتحديد مجال تحّكم كل عامل، وقد حّدد " رادفورد"-أحد شراح التحويلية) العامل بأنه أصغر وحدة مؤثرة في الكلمة.[13]

---

[10]- البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، جامعة القاهرة، مصر، 1994م ، ص54

[11]- المرجع نفسه، ص55-57.

[12]- المرجع نفسه، ص58

[13]- خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1 دار الشروق ، عمان، الأردن 2000م، ص238.

الخاتمة:

– أثبتت النظرية التوليدية التحويلية صحة ما ذهب إليه النحاة المتقدمون بشأن أهمية العامل ودوره في الوقوف على الحقائق اللغوية التي ينتظمها التركيب وتحددها القواعد؛ فقد اهتمت هذه النظرية بالعامل باعتباره يقوم على تفسير البنيتين السطحية والعميقة؛ لأن البنية العميقة تقتضي فهم العلاقات باعتبارها علاقات للتأثر والتأثير.

– قدمت النظرية التوليدية التحويلية ألوانا من البنى التركيبية التي تفتح أفاقاً جديدة للدرس العربي كالبنى الآتية: تراكيب المصادر الصريحة، تراكيب المصادر المؤولة، مركبات أسماء الفاعلين والمفعولين، أسماء المصادر، الجمل المبنية للجهول، مركب ضمير الشأن.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نُشيد بمكانة هذه النظرية ودورها في إبداع مفاهيم، أفادت الدرس اللساني الحديث، رغم المآخذ التي طبعت عليها إلا أنّه ليس بإمكاننا أن نبخسها قيمتها وحقها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأستر آباذي رضي الدين محمد(ت688هـ)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس، ليبيا، 1978م.

2- البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، جامعة القاهرة، مصر، 1994م.

3- الجرجاني محمد بن علي الشريف، التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر(د.ط)، 1938م.

4- خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط،1 دار الشروق، عمان، الأردن 2000م.

5- الدجني فتحي، النزعة المنطقية في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط،1، 1982م.

6- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 2006م.

7- الزواوي بغورة، مفهوم البنية، مجلة فصيلة تعنى بالمفاهيم و المناهج -ملف خاص حول البنية، جامعة قسنطينة، السنة3، ع5، يونيو، 1992م.

8- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، ط،2 دار الكتب العلمية، بيروت،1987.

9- صلاح فضل، النظرية البدائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1985م.

10- المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة الكويت، ط،2 ،1987.

11- يحي بعيطش، مبادئ النحو البنوي- دراسة تطبيقية على اللغة العربية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.